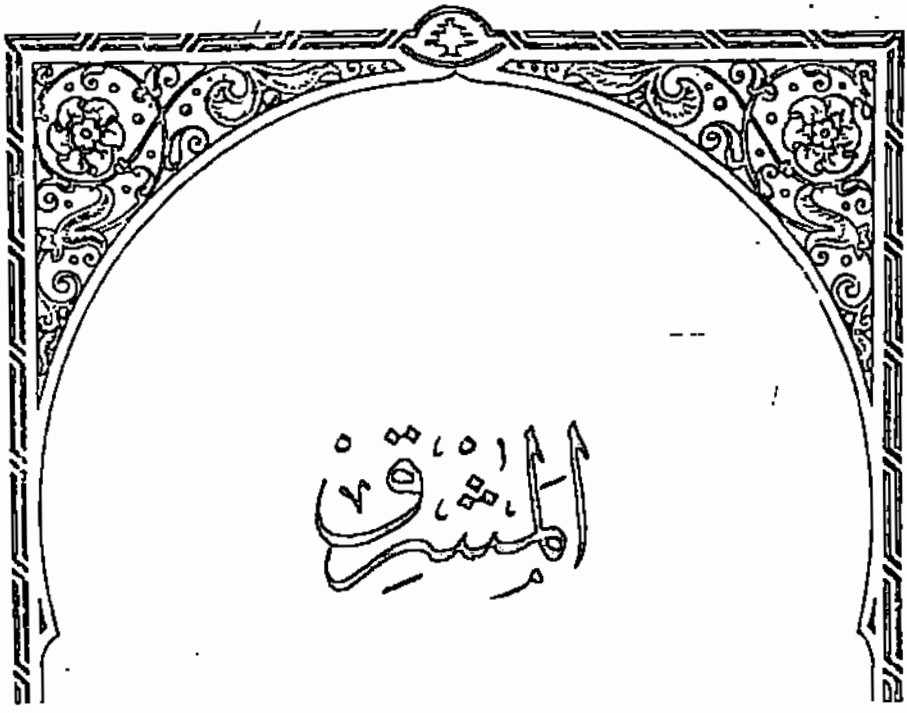

السنة السادسة والاربعون — ع ٢ - شباط ١٩٥٣

تمهيد

لقد كانت السنة الماضية موضوع نشاط مثمر لمجلتنا لاقى لدى الجميع استحساناً جنينا منه التهانئ الحارة . ونحن نجاوب على هذا بنشاط جديد فنطلع «بالمشرق» مرة كل شهرين وهكذا نكون اكثر اتصالاً بقرائنا .

نزيد من هذا ان نفتح المجال اوسع ليس فقط لدى علمائنا الشرقيين ورجالاتنا المثقفين ، بل لدى عدد اوفر من العلماء الاوروبيين الذين سيجدون عندنا المقالات والبحوث القديمة وسنوفر لهم مكاناً ينشرون فيه دراساتهم بلغتهم الاصلية ، عندما تقضي الحاجة .

ان مؤتمر المستشرقين الاخير الذي انعقد في اسطنبول اظهر لنا تقدير البحاثين في امور الشرق لمجلة « المشرق » وللخدمات التي تؤديها لهم . وفي هذه المناسبة نرفع شكرنا واحترامنا لكل الذين اشرفوا على ادارة هذه المجلة منذ تأسيسها ونعرب لهم عن تقديرنا لجهادهم المستمر المخلص . وما علينا الا ان نتابع نهج الخطة الموروثة .

*

ان المبادئ التي لفتنا اليها نظر القراء في السنة الماضية نجد اليوم عندنا تطبيقاً عملياً .

فالمشاكل المتنوعة والمعضلات التي يتخبط فيها الشخص البشري تتطلب حلًّا ملائماً على ضوء هذه المبادئ التي ذكرنا . فهذا ما يدعو اليه الوجدان ويفرضه شيء من التنبه الانساني لحاجات الآخرين .

لن نكون منطقيين الى درجة تجعلنا لا نتأثر الّا بالاحصاءات وحدها . فان هنالك حقائق تفرض ذاتها فرضاً وعوض ان نداويها بشيء زهيد من الرفق والاحسان يسكن الضيم الى وقت ، علينا ان نجد الدواء اللازم في العدالة وفي شرائعها : عدالة في تبادل العلاقات بين الناس ، عدالة في توزيع الخيرات التي ليست سوى ودائع اؤتمنا عليها لنساهم في تقدم المجتمع الانساني ورقيه ، عدالة في إشراك العامل او ممثل العامل بادارة العمل ، عدالة في السهر على راحة العامل المادية والروحية معاً ، في السهر على الفقير وعائلته المعوزة ، في السهر على تهذيب اولاد العائلات البائسة ، عدالة تعطي الانسان المحروم من خيور الارض ، تعطيه معنى لانسانيته ورغبةً في ان يعيش محافظاً على مكانته .

مشكلة العامل عندنا هي مشكلة الفقر المدقع مع نتائجه . وانها لسذاجة ان نحصرها في هذا فقط . ولكنه الواقع يجعل حالة العامل عرضة للانهيار . فهذا العامل الزهيد الاجرة ، الذي عليه ان يجابه حياةً صعبةً واسعاراً متصاعدة

كل يوم ، والذي ، في لبنان ، يحب ان يعيش في بحبوحة ، تعوزه مع عائلته الطمأنينة المادية والادبية .

وما علينا الا ان نلقي نظرة واعية على ضواحي بيروت لنرى الفقر المسيطر بين ارجائها . ومع ذلك فلا يحق لنا ان نمنع الاهل عن التناسل ، في مصلحة الامة . ومع ذلك فهؤلاء الاولاد ذوو الاطهار البالية لهم حق بالحياة . وليس على ثغر الحياة ابتسامة وعد لهم . لقد فتحت الحكومة مدارس مجانية لتسهل على الاولاد من كل الطبقات اقتباس شيء من المعرفة ولكي تكافح الامية والجهل . ولكن بقي على رب العمل ان ينظر نظرة جديدة ، ليس فقط نظرة كافية ، الى الظروف الصعبة لا بل الموجعة . فهناك اولاد يشتغلون اثنتي عشرة ساعة في اليوم . فماذا يُرجى من اولاد كهؤلاء عندما يشبّون ؟ فانهم يكونون قد فقدوا معنى الكرامة البشرية ومعنى كرامة العمل ذاته .

فاذا لم يكن العمل سوى ضريبة لا سبيل الى الحياة بدونها ، خلق عند العمال حتى وعند الاولاد هذه العقلية الثورية التي ستصبح عاجلاً او آجلاً شوكة يتألم منها الجميع .

واذا امعنّا البصيرة في الاجرة التي تعطى لهؤلاء الاولاد نجدها اقل من زهيدة . وبصعوبة كلية تستطيع احياناً ان تكفي حاجات الاسبوع او تكفي الطبيب الذي تستدعيه امٌ مريضة او والدٌ عاجز . فالوالد اذاً يرسل الى العمل اولاده وهم بعد اطفال ليقدر ان يسد الحاجات العديدة التي تتطلبها عائلته الكبيرة العدد . أليس في هذا شذوذ ؟ فان العامل ايضاً له الحق المقدس ان يعيش في جو من الفرح والهدوء الداخلي ، وان ينعم في موطن طمأنينة وراحة ليستطيع ان ينظر الى الحياة بغير عين الجريح الثائر على الحياة .

نحن لا نزعم ان تحويل المجتمع الى طبقة واحدة امر مستطاع . فهذا مستحيل

وهذه ليست فكرتنا بل هو وهم الشيوعيين الباطل . فهذا التساوي الذي يرمون اليه معناه وضع الطبقة المسودة على ذات القدم مع الطبقة السائدة وبالوقت ذاته جعلها سائدة بدورها وهكذا نعود الى المشكلة عينها ، مشكلة الصراع بين الطبقات . واظن ان هذا الصراع لن يستمر الى هذا الحد الظاهر اذا تفهمت الطبقة المثرية واجباتها الاجتماعية وادركت معنى الملكية ومعنى الثروة . لا اقصد من وراء هذا ان على الغني ان يتصدق على الفقير . فهذا الحلّ إن هو الّا حلّ عابر لا يدوم . بل اعني ان الغني يتوجب عليه ، من حيث غناه ومن حيث الثروة التي بين يديه ومن حيث الواجب المقدس والوجدان ، يتوجب عليه ألّا يستعمل ثروته كما يشاء ، بل ان يشرك فيها الجماعة البشرية حيث يعيش . فعليه ، لانه غني ، ان يساهم في إغناء مجتمعه . وعلى الغني ، ان يدرك هذا بالتفاهم مع الفقراء الذين هم عندنا العدد الاوفر قبل ان يجعل الفقر والادقاع حاجزًا بين الطبقتين ، حاجز حقد وبغضاء لا تمحى اثارهما .

*

يجب ان يكون العمل واسطة لجعل الانسان انساناً حقاً . وكثيرًا ما يكون العمل ، كما ذكرنا ، واسطة لفقدان الانسانية من الانسان ومع ذلك فالعمل يستطيع الانسان ان يبرهن عن قدرته وقرته الخلاقة مساهماً مع الخالق الاوحد في تجميل وتحسين الخليقة التي أُقيم عليها سلطاناً . وانه مستحيل ، مهما صنعنا ، ان نعطي العمل وجهه الانساني اذا لم يجد الانسان في العمل استكفاء وقبولًا . ولن يجدهما طالما يثقل العمل الباحث على مناكبه وطالما لا يأتيه بلذة ومحبة وشوق . لا اقول بنزع كل صرامة وشدة عن العمل . فان سنة الحياة تقضي بذلك على كل عامل في اي عمل كان . ولكن العمل الذي لا يدع للانسان فرصة يتأمل فيها بذاته ، العمل الذي يستعبد الانسان هو هذا الذي

انتقده لانه يوجد عندنا في لبنان . فالعمل الذي لا يرفع الانسان ولا يعطيه الوقت والقوة ليحوّل المادة ويُخضعها ، العمل الذي يغرّق الانسان ويذوّبه ويمنع عنه التذوّق بجمال قوته الخلاقة التي يُظهرها مرارًا عديدة في النهار ، هو هذا الذي انتقده . فالعمل الذي ينزع عن العامل كل معنى للمسؤولية ويفقده كل لذة بجمال ما يعمل ، هو هذا الذي انتقده ، وهو هذا الذي نجده احياناً في لبنان .

فالعمل الذي لا يؤمّن وبالوقت ذاته لا يؤمن للعامل قوت غده ، العمل المتحرر من كل رابطة ، الذي يسمح لنفسه ان يطرد العامل قبل ان يحق له التعويض ، هو هذا الذي انتقده . فهذا العمل يجعل الانسان في قلق مستمر على غده . أمن العدل ان يعيش الانسان في هذه الخشية المتواصلة والخوف الدائم من شبح البطالة التي تهدد ايامه ؟ فكيف يتهرب القانون والشريعة عندنا من الاجابة على هذا السؤال ، ان مصير العامل المسكين في هذا الجواب .

وهذا ما يقوله البابا بيوس الحادي عشر في براءته المشهورة «Quadragesimo anno» : « خلافاً لاهداف العناية الالهية ، يميل العمل الذي إنما أُعد ، حتى بعد الخطيئة الاصلية ، للسمو بالانسان ادبياً ومادياً ، اقد اصبح هذا العمل يميل ، في ظروفنا ، الى ان يصير واسطة للحطّ بالانسان . فالمادة العجماء تخرج من المصنع مشرّفة سامية ولكن بعد ان تكون حطّت بالانسان وافسدته » .

وعلى هذا الاعتبار اريد ان انهي تمهيدي هذا راجياً ان اكون لفتّ نظر رؤسائنا واصحاب مشاريعنا لفتةً كافية الى مشكلة لم يكونوا ليجهلونها ؛ انما هي تطلب حلًا عاجلًا وعادلًا . ترى هل تحمل الينا هذه السنة الطالعة بشرى التحسينات في عالم العمل المتنوع ؟ ما علينا الا ان نأملها . فالعالم ، كما قالوا مرارًا ، يتمخض متألماً من انقلابات جبارة عتيدة ، وسوف يلد عنصرًا جديدًا . فما عساه يكون هذا العرق الجديد ؟

ان هذا العنصر الفتيد سيكون عنصر الاخوة ، عنصر المدنية الجديدة حيث تتعاضد الايادي الاكثر ابتعادًا وتجاهلًا ، حيث يتماشى الناس اجمعين اخوة اصدقا . وسيكون الكل ، الحقير والمهمل والمرذول والغني ، يدًا واحدة في بنا هذه المدنية . وغدًا ستعرف كل كفٍّ أنها ، على حقارتها ، تبني عمارة الاخا في كل نقرة ازميل على صلابة حجر .

وهذا الاخا وحده سيكون حلًا لكل معضلاتنا الانسانية ومشاكلنا الاجتماعية . وعبثًا نحاول ان نجد حلًا غير هذا في غير هذا الاخا .

الاب اغناطيوس عبده خليفه اليسوعي